ولهٰذا أتى[١] بعد الأمر بالقراءة بخلقه[٢] للإنسان.

﴿٣ ـ ٥﴾ ثم قال: ﴿اقرأ وربُّك الأكرمُ﴾؛ أي: كثير الصِّفات، واسعها، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود، الذي من كرمه أن علَّم أنواع العلوم[٣]، و ﴿علَّم بالقلم. علَّم الإنسانَ ما لمْ يعلمْ﴾: فإنَّه تعالى أخرجه من بطن أمِّه لا يعلم شيئاً، وجعل له السَّمع والبصر والفؤاد، ويسَّر له أسباب العلم؛ فعلَّمه القرآن، وعلَّمه الحكمة، وعلَّمه بالقلم، [الذي به تُحفظ العلوم][٤] وتُضبط الحقوق، وتكون رسلاً للنَّاس تنوب منابَ خطابهم؛ فلله الحمد والمنَّة الذي أنعم على عباده بهٰذه النِّعم، التي لا يقدرون لها على جزاءٍ ولا شكورٍ، ثمَّ منَّ عليهم بالغنى وسعة الرزق.

﴿٦ ـ ٨﴾ ولٰكن الإنسان لجهله وظلمه؛ إذا رأى نفسه غنيًّا؛ طغى، وبغى، وتجبَّر عن الهدى، ونسي أنَّ لربِّه ﴿الرُّجعى﴾: ولم يخف الجزاء، بل ربَّما وصلت به الحال أنَّه يترك الهدى بنفسه ويدعو غيره إلى تركه، فينهى عن الصَّلاة التي هي أفضل أعمال الإيمان.

﴿٩ ـ ١٤﴾ يقول الله لهٰذا المتمرِّد العاتي: ﴿أرأيتَ﴾: أيُّها الناهي للعبد إذا صلَّى، ﴿إنْ كانَ﴾: العبد المصلِّي ﴿على الهُدى﴾: العلم بالحقِّ والعمل به، ﴿أو أمر﴾: غيره ﴿بالتَّقوى﴾: فهل يحسُنُ أن يُنهى مَن هٰذا وصفه؟! أليس نهيه من أعظم المحادَّة لله والمحاربة للحقِّ؟! فإنَّ النَّهي لا يتوجَّه إلَّا لمن هو في نفسه على غير الهدى، أو كان يأمر غيره بخلاف التقوى، ﴿أرأيتَ إن كذَّبَ﴾: النَّاهي بالحقِّ، ﴿وتولَّى﴾: عن الأمر؟ أما يخاف الله ويخشى عقابه؟! ﴿ألمْ يعلمْ بأنَّ اللهَ يرى﴾: ما يعمل ويفعل.

﴿١٥ ـ ١٦﴾ ثم توعَّده إن استمرَّ على حاله، فقال: ﴿[كلَّا] لئن لم ينتَهِ﴾: عمَّا يقول ويفعل، ﴿لَنَسْفَعاً بالنَّاصيةِ﴾؛ أي؛ لَنأخُذنَّ بناصيته أخذاً عنيفاً، وهي حقيقةٌ بذٰلك؛ فإنَّها ﴿ناصيةٌ كاذبةٌ خاطئةٌ﴾؛ أي: كاذبةٌ في قولها، خاطئةٌ في فعلها.

﴿١٧ ـ ١٨﴾ ﴿فَلْيَدْعُ﴾: هٰذا الذي حقَّ عليه العذابُ[٥] ﴿نادِيَهُ﴾؛ أي: أهل

---

(١) في (ب): «ذكر».
(٢) في (ب): «خلقه».
(٣) في (ب): «أن علم بالعلم».
(٤) كذا في (ب). وفي (أ): «الذي به تحفظ به العلوم».
(٥) في (ب): «العقاب».

مجلسه وأصحابه ومن حوله ليُعينوه على ما نزل به، ﴿سَنَدْعُو الزَّبَانِيَةَ﴾؛ أي: خزنة جهنَّم لأخذه وعقوبته. فلينظر أيُّ الفريقين أقوى وأقدر. فهٰذه حالة الناهي وما توعد به من العقوبة.

﴿١٩﴾ وأمَّا حالة المنهيِّ؛ فأمره الله أن لا يصغي إلى هٰذا الناهي، ولا ينقاد لنهيه، فقال: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾؛ أي: فإنَّه لا يأمر إلَّا بما فيه الخسار[1]، ﴿وَاسْجُدْ﴾: لربِّك، ﴿وَاقْتَرِبْ﴾: منه في السُّجود وغيره من أنواع الطاعات والقُرُبات؛ فإنَّها كلها تدني من رضاه وتقرِّب منه. وهٰذا عامٌّ لكلِّ ناهٍ عن الخير ولكلِّ منهيٍّ عنه، وإن كانت نازلةً في شأنِ أبي جهل حين نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة وعذَّبه[2] وآذاه.

تمت. والحمد لله رب العالمين[3].

❁ ❁ ❁

تفسير سورة القدر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾[4] وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾.

﴿١﴾ يقول تعالى مبيناً لفضل القرآن وعلوِّ قدره: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾: [كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أنزلناه في ليلةٍ مباركة﴾] وذٰلك أنَّ الله تعالى ابتدأ بإنزال القرآن[5] في رمضان في ليلة القدر، ورحم الله بها العباد رحمةً عامَّةً لا يقدر العباد لها شكراً، وسميت ليلة القدر لعظم قدرها وفضلها عند الله، ولأنَّه يقدِّر فيها ما يكون في العام من الآجال والأرزاق والمقادير القدريَّة.

---

(١) في (ب): «إلا بما فيه خسارة الدارين». (٢) في (ب): «وعبث به».
(٣) في (ب): «تمت. ولله الحمد».
(٤) في (أ): إلى آخرها. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.
(٥) في (ب): «بإنزاله».